ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Adnan Salih Mohammad

Salah al-Din Governorate Education Directorate

Email: adnan.s.mohamad@st.tu.edu.iq

Keywords:

Henry VIII, Papacy, England, Marriage, Divorce

Article info

Article history:

Received 11.AUG.2023

Accepted 13.SEP.2023

Published 10.FEB.2024

King Henry VIII and his relationship with the papacy

A B S T R A C T

The relation of Henry Vlll′s to the popery is one of the important subjects of which the Arabic reader does not know much in spite of the contact between Britain and the Arab world in general and Iraq in particular.

Henry Vlll′s divorce of Catherine of Aragon was the direct reason, for the conflict between England and the Popery. In addition to this divorce there were other important reasons that were not less effective then it and they gathered momentum with the passage of time and led England to break her relations with the popery.

The popes policy were contradictory with the national ambitions. the popeis authority in imposing taxes and in the judicial issues was contradicted with the national spirit and Henry Vlll′s will to establish power in his country.

The people of England preferred the nationalization of the church in their country and putting an end to the power of the clergy men who were an independent body like a state with in the state and they only. followed their pope ; they did not pay anything to the state, hence the public opinion was ready to support the in dependence of the king dome from the church of Rome.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol54.Iss1.3636

الملك هنري الثامن وعلاقته بالبابوية

م. د. عدنان صالح محمد الصياد
مديرية تربية محافظة صلاح الدين

الملخص:

لم يعرف القارئ العربي الكثير عن علاقة الملك هنري الثامن بالبابوية، على الرغم من احتكاك بريطانيا بالعالم العربي منذ أمد بعيد. وتعد مسألة طلاق هنري الثامن من كاثرين الأراغوانية السبب المباشر للخلاف بين انكلترا والبابوية، وعلى الرغم من مسألة الطلاق، كانت هناك عوامل مهمة أخرى، لم تكن أقل تأثيراً من قضية الملك، تجمعت بمرور الزمن ودفعت بإنكلترا لقطع علاقتها مع البابوية. فقد كانت سياسة البابوات تتعارض مع التطلعات القومية، وكانت سلطة البابا ورجال الدين في فرض الضرائب والمسائل القضائية تتعارض مع الروح القومية، ومساعي الملك هنري الثامن في تقوية السلطة في بلاده، فضلا عن رغبة الانكليز بتوطين الكنيسة في بلادهم والمطالبة بوضع حد لسلطة ونفوذ رجال الدين، الذين كانوا هيأة منفصلة على صورة دولة داخل دولة لا يتبعون سوى رئاستهم ولا يدفعون شيئاً إلا لخزانتهم، وكان الرأي العام مهيئاً لتأييد الملكية في الاستقلال عن كنيسة روما.

تم تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور، تناول الأول نشأة هنري الثامن وتعليمه وبداية نشاطه السياسي، فيما تناول المحور الثاني اعتلاء هنري الثامن العرش الانكليزي، أما المحور الثالث فقد تطرق إلى جذور الخلاف بين الملك هنري الثامن والبابوية.

الكلمات المفتاحية: (هنري الثامن، البابوية، انكلترا، زواج، طلاق).

المقدمة:

وضعت الأخطاء الكثيرة التي ارتكبت خلال العهود السابقة في إنكلترا، ملوك آل تيودور أمام تداعيات خطيرة، لاسيما حرب الوردتين بين عائلتي يورك ولانكستر (١٤٥٥–١٤٨٥م)، ذلك أن اوضاع البلاد الاقتصادية ساءت، فقاموا بمجموعة من الإجراءات مستهدفين معالجة هذه الجوانب، وبالفعل تمكنوا من توفير الاستقرار والسلام الداخلي.

يَعد الملك هنري الثامن نفسه حاكماً مطلق الصلاحية في بلاده، بعد أن أقدم على إجراء خطير في تاريخ نظام الحكم في انكلترا، حين أمر البرلمان بإصدار مرسوم السيادة القاضي بالانفصال عن البابوية عام ١٥٣٤م، ومنذ ذلك الحين وضع البلاد تحت تحديات لاهوتية معقدة.

تبنى الملك هنري الثامن إصلاحاً دينياً من نوع خاص، ليس لوثريا ولا كالفنيا، ولم يكن يحسب نفسه من البروتستانت، أي لم يعد كنيسته من الكنائس البروتستانتية، على الرغم من انفصالها عن البابوية، لكنه لم يرفض العقيدة الكاثوليكية، وبقيت الكنيسة الانكليزية في مدة حكمهِ كاثوليكية بالكامل تقريباً ما عدا رفض الولاء لروما وإلغاء الأديرة والتقليل من شأن القديسين، وكان هنري الثامن يريد إصلاحاً كنيسياً، بمعنى آخر كان يريد الكاثوليكية من دون البابا. وكان لانفصال انكلترا عن الكنيسة الكاثوليكية أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية، من هنا يعد الانفصال حدثاً سياسياً، دينياً، اجتماعياً في آن واحد، إذ كانت الكنيسة تبدو بتنظيمها عبئاً ثقيلاً على النظام الاقتصادي والاجتماعي في عهد الملك هنري الثامن، وكان هناك الكثير من شرائح المجتمع يكرهون السلطات الواسعة للبابا وصلاحياته في انكلترا.

الهدف من كتابة هذا البحث هو متابعة ذلك التطور الخطير في تاريخ نظام الحكم الانكليزي على عهد الملك هنري الثامن، إذ شكلت تداعياً في مستقبل انكلترا السياسي والديني. فقُسم البحث الى ثلاثة محاور، يتناول الاول نشأة هنري

الثامن وتعليمه وبداية نشاطه السياسي، إذ أسند اليه والده الملك هنري السابع أول مسؤولية وهو في عمر سنتين، فيما يتناول المحور الثاني اعتلاءه العرش الانكليزي، أما المحور الثالث فيتطرق الى جذور الخلاف بين الملك هنري الثامن والبابوية، على الرغم من أن الأعوام الأولى من حكمه شهدت علاقات جيدة مع البابوية، إلى الحد الذي خاض هنري الثامن حرباً ضد فرنسا إرضاءً للبابا وكسبا لوده، لكن العلاقات بدأت بالتدهور عندما برزت قضية طلاق هنري من كاثرين.

أولاً. نشأة هنري الثامن وتعليمه وبداية نشاطه السياسي:

ينحدر هنري الثامن (**Henry VIII**) من أسرة ذات أصول ويلزية، وقد ولد في ٢٨ حزيران ١٤٩١م في قصر جرينتش، وهو الابن الثالث للملك هنري السابع (**Henry II**) (١٤٥٧ – ١٥٠٩ / ١٤٨٥ – ١٥٠٩م) والملكة اليزابيث، فمن بين أبناء هنري السابع السبع لم يبق إلا ثلاثة أشقاء لهنري الثامن، وهم آرثر ومارغريت وماري، وبعد عامين من ولادته (عام ١٤٩٣م) عينه والده مسؤولاً عن الامن في قلعه دوفر، وفي ١٤٩٤م تم تنصيبه دوقاً ليورك، ثم تلا ذلك تعيينه أيرل لإنكلترا، ثم ممثلاً للملك ورئيساً للمجلس التنفيذي الايرلندي (ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)).

تلقى هنري تعليماً جيداً، إذ كان تعليم أغلبية الأسر الارستقراطية في انكلترا يتم داخل المنازل، لعدم وجود مدارس كثيرة في ذلك الوقت، وهي وإن كانت موجودة؛ إلا أنها مختصرة على مناطق محددة، قد تكون بعيدة عن مساكن هذه الأسرة من جهة، وليست بالمستوى المطلوب من جهة أخرى (محمد يوسف ابراهيم، ٢٠٠٣، ص٢٤– ٢٥.)، وواقع الأمر أن أسرة آل تيودور كانت تشجع العلم دائماً، وقد تولى تربية الأمير هنري الثامن عدد من مشاهير العلماء الأوربيين ممن وردوا إنكلترا لنشر العلم، فأخذوا على عاتقهم مهمة نشر تعاليم القدماء، فضلاً عن آرائهم الخاصة في الحياة والناس والعلاقات الإنسانية، لذا أتقن هنري الثامن اللاتينية، الفرنسية، الاسبانية، ولما كان من المتوقع أن ينتقل العرش إلى الأمير آرثر (الأخ الأكبر لهنري) فقد جرى إعداد هنري للحياة الكنيسية(Black, 1932, P. 42.).

يبدو أن التعليم في انكلترا، وعلى الرغم من موقعها الجغرافي المنعزل عن القارة الأوربية، لم يكن يتمتع بالمستوى المطلوب، إذ كان غالبية الشعب الانكليزي في القرن الخامس عشر يعاني الجهل والتخلف، شأنه شأن بقية الدول الأوربية الأخرى، وينحصر التعليم في الأسر الارستقراطية التي كانت تستقدم المربين إلى المساكن لغرض تعليم أبنائها وإعدادهم إعداداً جيداً، ومن حسن حظ هنري الثامن أن ولادته كانت قد تزامنت مع اعتاب النهضة الأوربية.

حرص الملك هنري السابع، الذي كان رجلاً جشعاً محباً للمال، على تزويج أبنائه من بنات الملوك والأمراء، بعد أن يتخطوا الثانية عشرة من أعمارهم، فزوج ابنه الأكبر وولي عهده الأمير آرثر (**Arthur**) من كاثرين الاراغوانية (**Catharine of Aragon**) رابع بنات فرديناند الثاني وإيزابيلا الأولى ملكه قشتالة، كما قام بتزويج ابنته مارغريت (**Margaret**) من ملك اسكتلندا جيمس الرابع (١٤٨٨ – ١٥١٣م)، وكان هدفه من هذه المصاهرات ايجاد حلفاء اقوياء لإنكلترا(Langer, 1972, P.622).

لكن زواج الأمير آرثر من كاثرين لم يدم طويلاً لوفاة آرثر في نيسان ١٥٠٢م، وبعد وفاة الأمير آرثر أصبحت كاثرين وحيدة أرملة في بلد غريب، ولم يكن هنري السابع يرغب بعودة كاثرين الى اسبانيا، وأراد أن يجدد مصاهرته مع الملك فرديناند القوي، فما كان منه إلا أن وجد مخرجاً لهذه القضية، فأقترح أن يزوج كاثرين من ابنه الثاني الأمير هنري (الملك هنري الثامن فيما بعد)، على الرغم من أنها كانت تكبر هنري الصبي بست سنوات، لذا فأن زواج هنري بكاثرين الذي تم فيما بعد، يُعد زواجاً سياسياً (Maurois, 1960, P. 416).

لم يمانع الملك فرديناند في اتمام هذا الزواج، على الرغم من الاعتراض الخطير الذي قام ضده، باعتبار أن الكنيسة الكاثوليكية لا تسمح بزواج أي رجل من أرملة أخيه، فهناك آية في العهد القديم من الكتاب المقدس تحرم هذا الزواج: "**وإذا أخذ رجل امرأة أخيه، فذلك نجاسة، قد كشف عورة أخيه، يكونان عقيمين**"(انجيل مرقص، العهد القديم، سفر اللاويين، الاصحاح ٢٠: ٢١.)، ولكن هناك آية أخرى في الكتاب المقدس تتضمن خلاف ذلك: "**واذا سكن أخوه معاً ومات واحدٌ منهم وليس لهُ ابن، فلا تصير امرأة الميت الى خارجٍ لرجل أجنبي، أخو زوجها يدخلُ عليها ويتخذها لنفسهِ زوجه، ويقومُ لها بواجب أخي الزوج، والبكر الذي تلدهُ يقومُ باسم أخيه الميت، لئلا يمحي اسمه من إسرائيل**" (انجيل مرقص، العهد القديم، سفر التثنية، الاصحاح ٢٥: ٥ – ٦.).

عمل كل من هنري السابع وفرديناند كل ما في وسعهما على اقناع البابا يوليوس الثاني (**Julius II**) (١٥٠٣ – ١٥١٣م) على أن يمنحهما ترخيصاً بهذا الزواج، وقد قُدم الطلب فعلاً، ومنح الترخيص في كانون الأول ١٥٠٣م، وتمت خطبة الأمير هنري من الأرملة كاثرين، ولما كان العريس (هنري الأبن) لا يزال في الثانية عشرة من عمره وقتذاك، فقد أُجلت المعاشرة الزوجية لحين بلوغ هنري سن الرشد (Williamson, 1965, P.113.).

ثانياً. اعتلاء هنري الثامن عرش انكلترا:

في عام ١٥٠٩م توفى الملك هنري السابع وتولى عرش انكلترا أبنه هنري الثامن (١٤٩١ – ١٥٤٧م) الذي توج ملكاً على انكلترا في ٢٤ حزيران ١٥٠٩م، بعد أن ورث عن أبيه مملكة موحدة سياسياً واقتصادياً، وتمتلك ثروة عظيمة يسودها السلام وسلطة ملكية قوية الدعائم (World Book Childcraft International Inc., Vol. 6, 1979, P.246.)، وعلى الرغم من ذلك كان أمام الملك الجديد هنري الثامن مهمات كثيرة، في مقدمتها إصلاح أوضاع بلاده السياسية الداخلية، ومعالجة تسرب الفكر اللوثري والكالفيني فيما بعد (محمد محمد صالح، ١٩٨٢، ص٢٠٠.).

سار الملك هنري الثامن على نهج أبيه من ناحية إضعاف النبلاء، والاعتماد على الطبقة الوسطى (البرجوازية) وهم أصحاب التجارة والصناعة والفئة المثقفة في المجتمع في حفظ النظام الداخلي، وقد أدت هذه الطبقة دوراً أساسياً في الاقتصاد والتعليم، ومساندة الدولة، وبالمقابل منَح هنري الثامن الطبقة الوسطى الامتيازات التجارية والاحتكارية والقيام بالمشاريع المربحة وتخويلها عقد معاهدات تجارية، وعمل على توفير الحماية لهذه الطبقة (Lerner and Other, 1993, P. 423).

كان هنري الثامن شاباً جميلاً في الثامنة عشر من عمره عندما أصبح ملكاً على انكلترا، وبعد يومين من تتويجه، أصدر أمراً باعتقال اثنين من وزراء أبيه الذين لم يكونا يحظون بشعبية كبيرة وهما: السير ريتشارد إمبسون *Sir. Richard* Empson (١٤٥٠– ١٥١٠م) وادموند دادلي Sir. Edmund Dudley (١٤٦٢–١٥١٠م) واتهمهما بالخيانة العظمى، وجرى إعدامهما المتوفي في ١٧ آب ١٥١٠م، وكان هذا هو تكتيكه الأول للتعامل مع الذين وقفوا في طريقه، فكان هنري الثامن يدرك حاجته إلى رجال أقوياء كي يتمكن من إدارة شؤون مملكته، ويُعد توماس ولسي (Thomas Wolsey) (١٤٧٤ – ١٥٣٠م) من أبرز الشخصيات التي اعتمد عليها هنري الثامن (نقلاً عن: ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)).

توقع الشعب الانكليزي خيراً كثيراً بعد اعتلاء الملك هنري الثامن العرش، إذ كان جريئاً ذكياً، درس على أيدي أفضل علماء أوربا، بوصفه كاثوليكياً فقد درس اللاتينية والدين، كما بدا هنري الثامن في صورة رجل عصر النهضة، وأصبح بلاطه قبلة المبدعين من العلماء والأدباء والفنانين.(Gardiner, 1905, Vol. II, P.368).

قام الملك الشاب بعد ستة أسابيع من ارتقائه العرش بالزواج من كاثرين، ويُعد هذا الزواج ثورة دينية أدت فيما بعد إلى فصل كنيسة انكلترا عن كنيسة روما الكاثوليكية كما سنرى (Morgan, 1990, P.98.).

وفي عام ١٥١١م أعلن البابا يوليوس الثاني تحالفاً مقدساً ضد فرنسا، ولم يشمل التحالف الجديد اسبانيا والامبراطورية الرومانية المقدسة فقط، وإنما ضم انكلترا أيضاً، اتخذ هنري هذه المناسبة ذريعة لتوسيع نطاق سيطرته في شمال فرنسا، وعقد معاهدة ويستمنستر (**Westminster**)، تشرين الثاني ١٥١١م والتي نصت على الدعم المتبادل مع اسبانيا ضد فرنسا (Eyre M.A., 1971, P.67.).

في عام ١٥١٣م غزا هنري الثامن فرنسا، وهزمت قواته الجيش الفرنسي في معركة سبرز (**Spurs**) ثم أوقع هزيمة أخرى بالقوات الاسكتلندية المتحالفة مع فرنسا في موقعة فلودين (**Flodden**)، وقد أدى هذان الانتصاران إلى كسب ود البابا وإعادة هيبة انكلترا في أوربا (Heaton, 1952, P.62).

أصدر هنري الثامن في عام ١٥٢١م كتاباً (رسالة) مشهورة باللغة اللاتينية بعنوان (**Assertio Septem Sacramentorun**)، دافع فيه عن الأسرار السبعة المقدسة (**The Deference of the Seven Sacraments**)، ردّ فيه على تعاليم مارتن لوثر (**Martin Luther**) (١٤٨٣-١٥٤٦)، ويبدو أن هنري الثامن أراد أن يكون هذا الكتاب رادعاً للحركة اللوثرية أو ربما لإظهار سعة علمه في اللاهوت، واعتقد الكثيرون أن ولسي هو المؤلف الحقيقي للكتاب، وانه من اقترح على الملك هنري الثامن تأليف هذا الكتاب، وهو صاحب ما ورد فيه من أفكار رئيسة بوصفها جزءاً من دُبلوماسيته في أوربا (طالب محيبس حسن الوائلي، ٢٠١١، ص٥٩.)، وقام هنري الثامن بإهداء نسخة من الكتاب إلى البابا ليو العاشر (**Leo X**) (١٤٧٥ – ١٥٢١ / ١٥١٣ – ١٥٢١م) طالباً منه أن يمنحه لقب (**حامي العقيدة**) (**Defender of the Faith**)، فوافق البابا على ذلك، ومن شدة فرحه باللقب أمر هنري الثامن بوضع هذا اللقب على العملات النقدية في البلاد، ولا يزال ملوك انكلترا يحملون هذا اللقب، وينقش على النقود الإنكليزية حتى اليوم، كما منحه البابا لقب (**حامي الايمان**) (Protector of faith) (كلود غيو، د.ت، ص٥٥.).

ثالثاً. جذور الخلاف بين هنري الثامن والبابوية:

لكن الوفاق لم يستمر طويلاً بين هنري الثامن والبابوية، إذ سرعان ما نشب الخلاف حول قضية شخصية تخص هنري الثامن وزوجته كاثرين الاراغوانية التي لم تلد لزوجها ولدا ذكر يرث العرش ويضمن استمرارية عائلة تيودور في الحكم (Perry, 1903, P.82.).

طلاق هنري الثامن من كاثرين الاراغوانية:

يبدو أن مسألة طلاق الملك هنري الثامن من كاثرين يعد السبب المباشر للخلاف بين انكلترا والبابوية، وفي السنوات الخمس الأولى من زواج هنري، انجبت كاثرين أربعة أولاد لم يبق أي منهم أكثر من أسابيع، وفي ١٨ شباط ١٥١٦م أنجبت كاثرين طفلة قدر لها أن تكون الملكة ماري (Mary Tudor) (١٥٥٣ – ١٥٥٨م) فيما بعد، وفي عام ١٥١٨م انجبت كاثرين ابناً، ولد ميتاً، لكن هنري الثامن كان يرغب أن تنجب له كاثرين ولدا يرث العرش، وكان الشعب يشاركه هذا الإحساس، إذ لا يمكن إغفال العقلية الإنكليزية المحافظة في وجوب انجاب صبي لوراثه العرش، لأن في ذلك استقرار للسلطة السياسية في البلاد، لاسيما بعد الحرب الأهلية الطاحنة التي شهدتها البلاد، وهي حرب الوردتين (**The War of the Roses**) (١٤٥٥ – ١٤٨٥م)، واشتدت خيبة أمل الملك والبلاد لأن ماري البالغة من العمر عامين كانت قد خطبت إلى ولي عهد فرنسا، واذا لم يُرزق هنري بولد فأن ماري سوف ترث العرش الانكليزي، وعندما يكون زوجها ملكاً على فرنسا فأنه يكون في الواقع ملكاً على انكلترا، كذلك تصبح انكلترا مقاطعه تابعه لفرنسا (ليلى الصباغ، ١٩٩٨، ص١٦٦ – ١٦٧.).

وفي عام ١٥٢٥م بدأ هنري الثامن يفكر في ايجاد طريقة للحصول على الطلاق منها، بعد أن تخلى عن كل أمل في الحصول على ذرية أخرى من كاثرين، أو بعبارة أدق في إعلان بطلان زواجه بحجة أن الزواج كان مخالفاً لقوانين الكنيسة التي تحرم الزواج من أرملة الأخ، فضلاً عن عدم ارتياح ضميره من معاشرة أرملة أخيه، إذ إن الديانة المسيحية كانت تحرم مثل ذلك الزواج قبل الفتوى التي حصل عليها هنري السابع وفرديناند من البابا يوليوس الثاني(Mackie, 1977, P. 102.).

بات استمرار ولاء انكلترا للبابوية رهناً بإقرار البابا كليمنت السابع (**Clement VII**) (١٤٧٨ – ١٥٣٤ / ١٥٢٣ – ١٥٣٤م)، بطلاق هنري الثامن من كاثرين الاراغوانية، لكن البابا لم يستطع تحقيق رغبة الملك هنري الثامن، لأن في هذا مخالفة صريحة لقواعد الديانة المسيحية التي تحرم الطلاق، والزواج من امرأة أخرى لأن قوانين الكنيسة لم تسمح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة، لاسيما المذهب الكاثوليكي لأن رابطة الزواج لا يمكن أن تحل مطلقاً، فالزواج يجب أن يستمر طوال العمر، ولا يفترق الزوجان إلا بالموت، لأنه سر من الاسرار السبعة المقدسة حتى في حال تعذر توافق الزوجين، لا تسمح الكنيسة إلا بالتفريق بين الزوجين دون فسخ عقد الزواج، وهناك نص في الانجيل تعتمد عليه الكنيسة في هذا الموضوع (Leopold Von, 1996, Vol. II, P.206): "**من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني**" (انجيل مرقص، الاصحاح ١٠: آية ١١ – ١٢.).

كان هنري الثامن قد وقع في حب امرأة لعوب تدعى آن بولين (**Anne Boleyn**) (١٥٠٧ – ١٥٣٦م) إحدى وصيفات الملكة كاثرين، وفي الوقت نفسه كان هنري الثامن يطمح في الحصول على محلل بابوي لفسخ أو بطلان زواجه من كاثرين، ولم يكن أحد يتصور أن هذه المسألة ستؤدي الى انفصال انكلترا عن الكنيسة الكاثوليكية بعد سنوات (Bell, N. D., P. 16.).

وفي عام ١٥٢٧م خول الملك هنري الثامن الكاردينال ولسي تنظيم إلغاء زواجه من كاثرين عند البابا كلمنت السابع، وقام ولسي برفع طلب إلى روما للحصول على قرار من البابا بإلغاء الزواج الذي أجازه سلفه البابا يوليوس الثاني، وكتب ولسي في سياق الرسالة التي أرسلها إلى البابا: "**نظراً لأن زواجاً كهذا يعتبر مخالفاً لقوانين الرب، فأن ضمير الملك قلق جداً**"، لكن البابا كلمنت السابع رفض طلب الملك هنري الثامن على الرغم من استطاعته الاستجابة لطلب الملك في المصادقة على بطلان الزواج، لذلك وصف رفض البابا لطلب الملك بأنه: "**أمر غير حكيم**"، لأن هناك حالات كثيرة مشابهة لحالة هنري الثامن وكاثرين في تاريخ البابوية، إذ كانت البابوية قد أقرت حديثاً طلاق أخت الملك هنري الثامن (ماركريت) من جيمس الرابع ملك اسكتلندا، لمسوغات أقل شأناً من مسوغات هنري الثامن، وكان هنري الثامن قد وصف حكم البابا بشأن أخته بـ "**الحكم المخزي**" (Lunt, 1947, P. 210).

لم يكن في استطاعة البابا كلمنت السابع في تلك الأوقات أن يمنح الملك هنري الثامن الطلاق، وترجع أسباب ذلك إلى أن البابا عندما وصله طلب بطلان الزواج، كان قد وقع تحت سلطه ونفوذ شارل الخامس (**Charlers V**) (١٥٠٠ – ١٥٥٨ / ١٥١٦ – ١٥٥٦م)، امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة، بعد أن تمكن جيش الأخير بقيادة الدوق بوربون في عام ١٥٢٧م من الاستيلاء على روما، وأصبح البابا منذ ذلك الوقت أسيراً بين يدي الإمبراطور، ولأن كاثرين هي عمة الامبراطور، فلا يمكن للبابا أن يوافق على طلاقها، فضلاً عن أن البابا لا يريد إلغاء شرعية الفتوى التي منحها سلفه بشأن زواج هنري وكاثرين، ويظهر خطأ سلفه (اندرو ملر، ٢٠٠٣، ص٦٨٤).

كانت هناك عوامل أخرى مهمة الى جانب العوامل التي تم ذكرها سابقاً بخصوص انفصال الكنيسة الإنكليزية عن كنيسة روما، تجمعت بمرور الزمن ودفعت بإنكلترا لقطع علاقتها مع البابوية، وأن الدارس لتاريخ انكلترا في المراحل التي سبقت الانفصال يلمس بوضوح محاولات ملوك انكلترا لغرض سيطرتهم على رجال الدين، لاسيما هنري الأول (١١٠٠ –

١١٣٥م) وهنري الثاني (١١٥٤ – ١١٨٩م) وجون (يوحنا) (١١٩٩ – ١٢١٦م) وغيرهم من الذين كانوا يريدون القضاء على الكثير من المزايا التي كان يتمتع بها رجال الدين، كاستقلالية المحاكم الكنيسية، ووضع حد لسلطة البابا في تعيين المجلس الاكليروسي (**Connotation**) في البلاد، وقطع أو على الأقل خفض نسبة الجزية المدفوعة للبابوية، لكن هؤلاء الملوك، شأنهم شأن باقي ملوك أوربا، لم يستطيعوا أن يجعلوا من الكنيسة مؤسسة وطنية تابعه للدولة (Rachum, 1979, P.206.).

استمر ولسي في مسعاه لكسب قضية الملك، ونوقشت عدة اقتراحات من أجل حل مشكلة الملك ومنها: زواج هنري بامرأة أخرى وسماح البابا لهُ بالاحتفاظ بزوجتين، لكن الملك عدل عن هذا الاقتراح قبل أن يعرض على البابا لمناقشته في خريف عام ١٥٢٧م، وفي نهاية العام طلب هنري من البابا أن يعين مع الكاردينال ولسي قاضياً رسولياً آخر لعقد محكمة في انكلترا، تسمع الدليل وتحكم على زواج الملك بكاثرين، واذعن البابا كلمنت في ١٣ نيسان ١٥٢٨م وعين الكاردينال كامبيجيو (Campeggio) (١٤٧٤–١٥٣٩) لعقد جلسات مع ولسي في لندن وانشاء محكمة تنوب عن البابا برئاستهما لحل مسألة الزواج، وصل كامبيجيو الى انكلترا في تشرين الأول ١٥٢٨م، لكن المحكمة لم تبدأ بعقد جلساتها حتى شهر حزيران من عام ١٥٢٩م، وخلال تلك المدة حدثت تغييرات سياسية وعسكرية عديدة، جعلت البابا يتحول اكثر فأكثر ضد رغبات هنري الثامن، فقد أصبحت ايطاليا تحت نفوذ الامبراطور شارل عندما وقع الملك الفرنسي (فرانسو الأول) (**Francio I**)، في ٥ آب ١٥٢٨ معاهده كامبراي (**Cambrai**) التي سلمت في الواقع ايطاليا والبابا للإمبراطور، وقد أدت هذه المعاهدة الى تعقيد مسألة طلاق هنري وتحطيم آمال ولسي وتضييق المجال عليه في حل المسألة التي أدت الى نهايته، عقدت المحكمة جلساتها بحضور الملك والملكة في حزيران ١٥٢٩م، واستمعت إلى أقوال وشهادات الزوجين، وطالب هنري بصدور قرار واضح من المحكمة حول الموضوع، وماطل كامبيجيو في إصدار الحكم، وفي ٢٣ تموز ١٥٢٩م أجل كامبيجيو المحكمة إلى الأول من تشرين الأول من السنه ذاتها، وتحت ضغط شارل الخامس، ألغى البابا المحكمة وحول القضية إلى روما، التي رجع كامبيجيو اليها (ديورنت، ١٩٨٨، ج٤، مج٦، ص٨٧ – ٨٩.).

وبعد مدة من الانتظار، خاب أمل الملك في الحصول على قرار من البابا ببطلان زواجه من كاثرين، وجاءت نهاية ولسي وسلطته واتهام الملك لهُ بفشله في حل مسألة الطلاق، وكانت هناك أسباب أخرى لسقوطه، فقد كان لِولسي سلطات واسعة تنافس سلطات الملك، فلم يكن ولسي مندوب البابا في انكلترا ومستشار الملك فحسب، بل كان الوزير الأول، ولم يكن يعد نفسه مسؤولاً عن البرلمان، كما استغل ولسي سلطاته لمصالحه ومصالح أقربائه، الأمر الذي خلق لهُ منافسين كثيرين في حاشية الملك، كما أدت سياسته الخارجية إلى نتائج غير مرضية، بعدما دفع بإنكلترا عام ١٥٢٢م إلى الانضمام إلى شارل الخامس في حربه ضد فرنسا، عندما وعده شارل بمساعدته وتأييده في الحصول على منصب البابوية، فضلاً عن غرور ولسي وكبريائه، وانتهاكه امتيازات رجال الدين الانكليز والنبلاء بسبب سلطاته السياسية والقضائية الواسعة، وفي عام ١٥٢٩م أصدر الملك هنري أوامره بعزل ولسي من مناصبه السياسية، مع السماح لهُ بالاحتفاظ بمنصبه رئيسا لأساقفة يورك، وبأموال شخصية تكفي احتياجاته، وفي عام ١٥٣٠م اتهم ولسي بأنه أشار على البابا بحرمان الملك هنري الثامن من غفران الكنيسة والطلب منه تشجيع الإمبراطور شارل الخامس ضد انكلترا، لذا أمر الملك بالقبض عليه بتهمة الخيانة، لكن ولسي توفي في ٢٩ تشرين الثاني ١٥٣٠م وهو في طريقه إلى لندن لتقديمه إلى المحاكمة(ديورانت، ج٤، مج٦، ص٩١.).

بقيت مسألة طلاق هنري الثامن من كاثرين معلقه الى أن تم حلها بعد سنوات بواسطة البرلمان، ولكي يمضي الملك في مشروعه؛ كان عليه أن يخضع البرلمان لرغباته وأجبره على تنفيذ أوامره، ولم يتردد في إعدام معارضيه السياسيين، فأعلن البرلمان تأييده لهنري الثامن وهكذا تمكن من استجماع قواه واكتساب شرعية دنيوية لمواجهة البابا وذيول

الكنيسة في انكلترا ومنهم اللوردات الروحانيين ممثلي الكنيسة في البرلمان، وبالفعل فقد وجد نفسه مدعوماً في خطواته هذه من الطبقة الوسطى التي تبغي تقويته في مواجهة الأمراء الاقطاعيين والقضاء على النبلاء الى جانب تأييد عدد كبير من اللوردات الدنيويين الناقمين على سلطة روما ورجالها في انكلترا (Dance, 1946, P.187).

وفي ٢٢ آب ١٥٣٢م توفى وارهام رئيس اساقفة كانتربيري **(Archbishop of Canterbury)**، وعين الملك بدلاً عنه توماس كرانمر **(Thomas Cranmer)** في كانون الثاني ١٥٣٣ على الرغم من محاولات الأسقف الكاثوليكي المتشدد ستيفن كاردنر **(Stephen Gardiner)** (١٤٩٧ – ١٥٥٥م) للحصول على المنصب، وفي نيسان من العام نفسه حصل الملك هنري الثامن على موافقة المجلس الاكليروسي على طلاقه من كاثرين، وفي ٢٣ أيار اعلن كرانمر بطلان زواج هنري من كاثرين، وقد دفع الملك البرلمان إلى إصدار مرسوم السيادة **(The Dominion Act)** القاضي بالانفصال عن البابوية عام ١٥٣٤م، وتضمن ستة بنود، منها تأكيد موقع السيد الأعلى (**The Supreme Headship**) المتسلط على الكنيسة الإنكليزية، والمقصود أن يكون ملك البلاد الرئيس الأعلى لها بدلاً من البابا، فصارت لهُ الزعامتان الدنيوية والدينية، وهو التطور الأخطر في تاريخ نظام الحكم في انكلترا حين نقل المرجعية السياسية والدينية من الكنيسة إلى البلاط (طالب محيبس حسن الوائلي، ص٦١.).

كان هنري الثامن قد تزوج سراً من آن بولين، في ٢٥ كانون الثاني عام ١٥٣٣، وكانت حاملاً منه، وبعد خمسة ايام أُعلن أن (آن بولين) زوجة شرعية لهنري الثامن، ووافق البرلمان على ذلك، لكن البابا كلمنت السابع أعلن بطلان زواج الملك هنري الثامن من آن بولين وأن الأولاد الذين سيكونون ثمرة هذا الزواج غير شرعيين، وفي ٢٢ تموز ١٥٣٣م أصدر البابا مرسوماً حَرم بموجبه الملك ورئيس اساقفته من غفران الكنيسة مع تعليق سريان الحكم حتى نهاية شهر ايلول أملاً في توبة المذنبين (Ridley, 1962, P. 134).

وسنشير بإيجاز الى زوجات هنري الثامن الست، فبالنسبة لكاثرين الاراغوانية، فقد طلقها هنري الثامن ١٥٣٣م وحرمها هي وابنتها (ماري) من ولاية العرش ١٥٣٤م، فاعتزلت وكانت لا تزال تدعي أنها زوجة هنري الشرعية وملكة انكلترا، الى أن توفيت في ٧ كانون الثاني ١٥٣٦م، أما آن بولين التي ضحى من أجلها الملك كثيراً، فقد اتهمت سنة ١٥٣٦م بالخيانة (الزنا) وألغى رئيس الأساقفة كرانمر زواجها وأصبحت ابنتها (اليزابيث) ابنة زنا، وأعدمت آن في برج لندن في ١٩ أيار ١٥٣٦م، وفي اليوم نفسه الذي أُعدمت فيه (آن) منح كرانمر محللاً بالزواج مرة أخرى للملك، وفي اليوم التالي خطب هنري جين سيمور (**Jane Seymour**) سراً وتزوجها في ٣٠ أيار ١٥٣٦م، واجتمع البرلمان في ١٨ حزيران ١٥٣٦م وأصدر بناءً على طلب الملك قانوناً لوراثة العرش، أعلن بمقتضاه أن ماري واليزابيث على السواء بنتين غير شرعيتين، وتقرر أن يقتصر التاج على الذرية المتوقع أن تنجبها جين سيمور، وولدت سيمور في ١٢ تشرين الأول ١٥٣٧م ولداً (ادوارد) الذي أصبح ملكاً لإنكلترا باسم ادوارد السادس (١٥٤٧– ١٥٥٣)، وماتت جين بعد ولادة ابنها بأثني عشر يوماً (٢٤ تشرين الأول ١٥٣٧م)، وتزوج الملك بعد ذلك ثلاث مرات، من آن كليفز (**Anne Clevis**) تزوجها في ٦ كانون الثاني ١٥٤٠م، وطلقها في ٢٤ حزيران ١٥٤٠م، ثم كاثرين هاوارد (**Catharine Howard**) تزوجها في ٨ آب ١٥٤٠م، وأعدمها في ١٢ شباط ١٥٤٢م، وأخيراً كاثرين بار (**Catharine Parr**) تزوجها في ١٠ تموز ١٥٤٣م، وعاشت بعد الملك (ديورانت، ج٤، مج٦، ص١٢٢.).

وهكذا أنهى قانون السيادة علاقة الكنيسة الإنكليزية بالكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وحلت محلها كنيسة وطنية في انكلترا هي الكنيسة الانكليكانية، وكما يقول المفكر الفرنسي جان جاك شوفالييه، بأن: "**الملك هنري الثامن قام بتأميم الدين وجعل من نفسه الرئيس الأعلى والحاكم الإسمي للكنيسة الإنكليزية**" (جان جاك شوفالييه، ١٩٨٥، ص٣١٨.).

على الرغم من أن مسألة طلاق الملك كانت السبب المباشر للخلاف بين انكلترا والبابوية، إلا أن هناك عوامل مهمة أخرى، لم تكن أقل تأثيراً من قضية الملك، تجمعت بمرور الزمن ودفعت بإنكلترا لقطع علاقتها مع البابوية، وقبول الأفكار الإصلاحية فيما بعد، وكما يقول المفكر هارولد لاسكي (H. Lask): "**أن جذور التغيير كانت تنمو منذ بضع مئات من السنين قبل مجيئ هنري الثامن إلى السلطة، ومن الخطأ أن يُنظر إلى حركة الإصلاح الديني على أنها وليدة اعتبارات شخصية أو طائفية فقط، ولم يكن السبب الرئيسي للإصلاح الديني الانكليزي، طلب هنري بطلان الزواج بقدر ما كان من ارتفاع شأن الملكية الانكليزية، وبلوغها درجة من القوه جعلتها قادرة على أن ترفض التسليم بسلطة البابا في التدخل في شؤون انكلترا، وتحكمه في مواردها**" (هارولد لاسكي، ١٩٣٦، ص٢٢).

وكان لانفصال انكلترا عن الكنيسة الكاثوليكية أسباب اقتصادية واجتماعية أيضاً، ومن هنا تعد حركة الإصلاح الديني في انكلترا حدثاً سياسياً، دينياً، اجتماعياً في آن واحد، إذ كانت الكنيسة تبدو بتنظيمها عبئاً ثقيلاً على النظام الاقتصادي والاجتماعي الجديد في انكلترا، وكان الملاكون وأعيان الاقاليم والطبقة الوسطى يتطلعون إلى الاستيلاء على أراضي وممتلكات الكنيسة الواسعة، فضلاً عن رغبة البورجوازية في إقامة كنيسة "**غير باهظة**" لا تكلفها الأموال الطائلة، أما العامة فكانوا يحتقرون القساوسة ويكرهون ضرائبهم، والتجار ينظرون بعين حاسدة إلى ثروة الأديرة الكثيرة، والمحامين المدنيين يضجرون من علماء القانون الكنسي، وبصورة عامة كان هناك كثيرون من شرائح المجتمع كافه يكرهون السلطات الواسعة للبابا وصلاحياته في انكلترا(محمد فؤاد شكري ومحمد أنيس، ١٩٥٦، ج١، ص١٤٨ – ١٤٩).

عليه يبدو أن المجتمع الانكليزي كان مهيئاً لاستقبال اي اصلاح ديني في البلاد بسبب المساوئ الكثيرة للكنيسة الكاثوليكية والبابا معاً، وهكذا رحل الملك هنري الثامن في ٢٨ كانون الثاني ١٥٤٧م، تاركاً انكلترا أمام تحديات وصراعات لاهوتية أستمرت بعد وفاته مدة طويلة.

قائمة المصادر والمراجع:

- انجيل مرقص، الاصحاح ١٠: آية ١١ – ١٢.
- انجيل مرقص، العهد القديم، سفر التثنية، الاصحاح ٢٥: ٥ – ٦.
- انجيل مرقص، العهد القديم، سفر اللاويين، الاصحاح ٢٠: ٢١.

أ- المصادر العربية والمعربة:

١- اندروملر، مختصر تاريخ الكنيسة، ترجمة: ناشد ساويرس، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٣.
٢- جان جاك شوفالييه، تاريخ الفكر السياسي (من الدولة القومية إلى الدولة الأممية)، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٥.
٣- طالب محيبس حسن الوائلي، العاهل والبارون ملامح الحياة البرلمانية في بريطانيا (١٠٦٦ – ١٩٤٩)، دمشق، رند للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١١.
٤- كلود غيو، النظام السياسي والإداري في بريطانيا، ترجمة: عيسى عصفور، بيروت، باريس، منشورات عويدات، د.ت.
٥- ليلى الصباغ، تـاريخ أوربا الحـديث، ط٤، دمشق، ١٩٩٨.
٦- محمد فؤاد شكري ومحمد أنيس، أوربا في العصور الحديثة (من النهضة الايطالية حتى الثورة الفرنسية)، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٦، ج١.
٧- محمد محمد صالح، تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية (١٥٠٠ – ١٧٨٩)، بغداد، ١٩٨٢.
٨- محمد يوسف ابراهيم، المس بيل وأثرها في السياسة العراقية، بغداد، مكتبة اليقظة العربية، ٢٠٠٣.
٩- هارولد لاسكي، نشأة التحررية الاوربية، ترجمة: عبد الرحمن صدقي، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٣٦.
١٠- ول وايريل ديورنت، قصة الحضارة، ترجمة: عبد الحميد يونس، بيروت، دار الجبل، ١٩٨٨، ج٤، مج٦.
١١- ويكيبيديا (الموسوعة الحرة).

ب- المصادر الأجنبية:

1- A. G. Eyre M.A., An Outline History of England, London, 1971.
2- Andere Maurois, the History of England, New York, 1960.
3- E. H. Dance, Britain in the Old World and the New, London, 1946.
4- G. D. Mackie, The History of Scotland, London, 1977.
5- G. K. A. Bell, the English Church, London, N.D.
6- George G. Perry, History of the Reformation in England, London, 1903.
7- H. Heaton, Economic History of Europe, London, 1952.
8- Ilan Rachum, the Renaissance the Jerusalem Publisher, New York, 1979.
9- J. B. Black, The Reigh of Henry VIII (1509 – 1547), Oxford, 1932.
10- James A. Williamson, The Tudor Age, London, 1965.
11- Jasper God Win Ridley, Thomas, Cranmer, London, 1962.
12- K. Morgan, The Oxford History of Britain, Oxford, 1990.
13- Ranke Leopold Von, History of England, London, 1996, Vol. II.
14- Robert E. Lerner and Other, The History of England, New York, 1993.
15- Samuel R. Gardiner, History of England, New York and Bombay, 1905, Vol. II.
16- W. E. Lunt History of England, New York, 1947.
17- William l. Langer, the Encyclopedia of World History, New York, 1972.
18- World Book Childcraft International Inc., The World Book Encyclopedia, New York, Vol. 6, 1979.